لهجة المستسلمين
ومَنطِق الثـوّار المـاركسيين ـ اللينينيين

بقلم ابو سعدان

ان الذي يناضل من اجل سلطة وطنية، لا تتصالح ولا تتنازل ولا تعترف، لا بد ان يناضل ايضا ، وبالضرورة ، ضد « مؤتمر السلام » في جنيف وبالتالي ضد المشاركة فيه . ولذلك فان تهرب امين عام الجبهة الديمقراطية من تحديد موقفه جبهته من هذا المؤتمر، يخفي ورائه مسالتين اثنتين : اولهما هي مسالة استعداد الجبهة الديمقراطية للمشاركة بمؤتمر السلام وبالتالي المشاركة ، باعتبارها طرفا فلسطينيا بالتوقيع على التسوية التي سيخرجها هذا المؤتمر ، وهي تسوية مبنية على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وليس بوسع احد مهما بلغ تلاعبه بالالفاظ ان يدعي بان السلطة التي تكون جزءا من هذه التسوية ، هي سلطة لا تتصالح ولا تعترف ولا تتنازل .

اما المسالة الثانية فتتعلق بشعوره بان الجماهير لا تقبل باي تبرير للقفوص في مستنقع « الخيانة الوطنية » ولكن القدرة على ضبط لسانه قد خانته ، فقلت من عقاله ليعلن **بان الاصدقاء السوفيات قد تمنوا عليهم ان يقبلوا حضور مفاوضات جنيف ((ومن وجهة نظر ان بامكانكم ان تنتزعوا شيئا لشعبكم))**

لقد صاق العدد الماضي عن استيعاب موضوعات الحلقة الخاصة التي يكبها الرفيق ابو عدنان ، الامر الذي اضطرنا لتأجيلها في هذا العدد فمعذرة .

ان الموضوع المدرج تحت عنوان « حوانمة والمشاركة ـ » مؤتمر السلام » في جنيف » لم نستكمل مناقشته . لذا نحلب الاساءة الى ان ما يلي من المناقشة سيكمل الموضوع الذي لم نستطع نشره كاملا في العدد الماضي .

انفلة اللسان هذه توضح لنا ما يعنيه حوانمة بتعبير « انتزاع » ، وما يعنيه بكشف لنا مدى التضليل الذي يمارسه لتغطية دعوته !

ان حوانمة مع وجهة نظر السوفيات التي تقول بان كل شيء انهى « السوية قادمة شئتم ام ابيتم » ، وليس امام المقاومة سوى ان تحضر الى جنيف وتحاول ان تحصل على (... شيء لشعبكم) ! ففي قاموس الحوانمية لتعبير « انتزاع » معنى الاستسلام وليس معنى اكتساب الشيء بقوة الارادة ، ذلك ان وجهة نظر السوفيات التي يتبناها حوانمة ، مبنية على اساس ان المقاومة اذا ارادت ان تقيم سلطة فلسطينية على الضفة والقطاع ، فعليها ان تكون واقعية وتحضر مؤتمر السلام في جنيف وان تاخذ بنظر الاعتبار كون اسرائيل موجودة ، وليس من الواقعية الحضور الى مؤتمر السلام والمطالبة بازالة اسرائيل !

ان حوانمة لا يكتفي بالنظر لحرف الثورة عن مسارها الوطني الثوري فقط ، وانما هو يقوم بتحريف معاني ومضامين المعايير العربية ليتمكن من استخدامها للتضليل ، وما ينطبق على تعبير « انتزاع » ينطبق ايضا على تعابير لا صلح ولا اعتراف ولا تنازلات مبدئية .

ان الفشل الفلسطيني في هذه المرحلة يقدر ما يواجه الاحتلال بالمقاومة فانه مطالب بان يقاوم ايضا عودة الضفة والقطاع الى الخضوع من جديد للسلطة الاردنية الرجعية . ولكن الفشل الفلسطيني يقدر ما يقاوم الاحتلال والالحاق ، ينبغي ان يقاول « مؤتمر السلام » في جنيف لانه مؤتمر ليبع القضية الفلسطينية برمتها . وليسمح لنا الاصدقاء السوفيات بان نختلف واياهم حول هذه المسالة ، فلهم وجهة نظرهم وهي خاطئة برايئا ، ولنا وجهة نظرنا . وموقفنا هذا يحدده ارتباطنا بوطننا وحفنا الطبيعي بكل الارض الفلسطينية من جهة ورفضنا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يتبناه اصدقائنا السوفيات ، ليس لان هذا القرار يعتبر قضيتنا قضية اجنبية فقط بل ولي الاساس لانه يعترف باسرائيل !

وليس كل ما تقدم ، هو كل البرهان على ان الجبهة الديمقراطية وامينها العام يحيدون السوية السياسية وبالتالي الذهاب الى جنيف والمشاركة في « مؤتمر السلام » المنعقد هناك . ولو رجعنا الى السؤال لوجدناه يربط بين المشاركة في المؤتمر وقيام « حكومة فلسطينية في المنفى) والسائل على حق حين يربط بين الاثنين لانه سمع الاذاعات واطلع على الصحف التي حملت تصريح الامين العام لهيئة الامم المتحدة ، والذي يقول فيه انه لا يستطيع ان يوجه الدعوة للمنظمات وبالتالي للمقاومة ، بل للحكومات لانه، امين عام لهيئة دول ، اما امين عام الجبهة الديمقراطية فيتجاهل هذا الربط ، وينطلق تحت تاثير انفعاله لكون الوقت لم يكن مناسبا لطرح السؤال ، يتدد بالسائل وينعته بعدم الثورية ، لان (الثوريين لا يضعون العربة امام الحصان) ! ، ولكنه بقدر ما كان حريصا على الهروب من الاجابة على الشطر الاول من السؤال وجدناه يبدي حرصا مماثلا للاجابة على الشطر الثاني المتعلق باقامة حكومة فلسطينية في المنفى ليتمكن فالدهايم مع وجودها من توجيه دعوة لمنظمة التحرير الفلسطينية للحضور الى «المؤتمر السلام» والمشاركة باعماله . يقول حوانمة مجيبا :

(وفي ظروفنا الراهنة ـ ظروف انعقاد مؤتمر السلام طبعا ـ قد تاخذ الثورة باعلان حكومة مؤقتة اذا وجدت ان املك حسين يتابع مؤامراته في تمثيل وتقرير مصير شعبنا وقضيته الوطنية) !

هذا هو جواب حوانمة . انه جواب واضح ومحدد . والسؤال الذي يطرح نفسه بعد الاطلاع على هذا الجواب هو : لماذا امتنع عن الاجابة بوضوح على القسم الاول من السؤال بينما اجاب بوضوح على القسم الثاني ؟

لا اظن اننا نحتاج الى حصافة نادرة لكي ندرك ان اجابته بالموافقة على الاعلان عن الحكومة المؤقتة، هدفها الانسجام مع امين عام الامم المتحدة ومع وجهة نظر وزير الخارجية المصرية اسماعيل فهمي الذي افرج على المقاومة الفلسطينية ان تشكل حكومة مؤقت لكي يتسنى لفالدهايم دعوتها لحضور « مؤتمر السلام » ! وهكذا نلاحظ ان الربط بين الاجابتين يكشف لنا ما حاول الاخ حوانمة اخفاءه(٢٨) !

---

(٢٨) راجع الهامش رقم (٢٦) .

س ـ ما هو مصير مؤتمر جنيف اذا لم يشارك فيه الفلسطينيون ؟ وما اثر المشاركة هذه على مصير الضفة الغربية وقطاع غزة ؟

ج ـ « ان مؤتمر جنيف سينجح اذا ملك الاسرائيليون مسلكا ايجابيا ولم يعودوا الى مراوغاتهم وشعروا بعد ٦ اكتوبر ان الوقت الحالي هو انسب الاوقات لكي يصلوا الى اتفاق يحقق السلام في الشرق الاوسط ويضمن جلاءهم عن الاراضي ويحقق للشعب الفلسطيني امانيه الوطنية . وهذا امر ليس من السهل الوصول اليه وسوف يحتاج الى وقت وجهود مكثفة . اما ما دام هدفنا وحلمنا واصحيى وما فعلنا لم نخرج عن هذا الهدف سنجد بمشاكل حالية ، اذن يمكن ان نتصافر جهود الدول العربية والفلسطينيين المطلين في جنيف للوصول الى هذا الهدف ».

س ـ اذا لم يشارك الفلسطينيون في المؤتمر فماذا سيحصل ؟

ج ـ « من المسلم به ان الفلسطينيين سيشتركون في مؤتمر جنيف في مرحلة لاحقة وقد تم التفاهم على ذلك قبل بدء المؤتمر » .

س ـ كيف ترى مصير الوسائل العملية لتنفيذ قرارات مؤتمر القمة العربي في الجزائر ؟ وهل قيام حكومة مؤقتة للفلسطينيين ، بغض النظر عن مؤتمر جنيف ، يخدم القضية الفلسطينية في هذه المرحلة ؟

ج ـ « الجواب عن هذا السؤال يقرره الفلسطينيون انفسهم ، ما يجارونه عقله نحن . اما من الواضح ان الوقت حان حتى يستعد الفلسطينيون للمشاركة في مؤتمر جنيف في صفة مستقلة ليشتركوا معنا دفاعا عن حقوقهم المشروعة».

حوانمة والقرار ٢٤٢

ولو رجعنا الى تفسيره لرفض المقاومة الفلسطينية لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، لتاكدت الحقيقة التي يحاول اخفائها حتى مجيء الوقت المناسب ، اي لحين وصول دعوة فالدهايم الى بيروت . يقول كاوتسكي المقاومة الفلسطينية :

(بالصراع من مواقع المعارضة الايجابية الثورية تنتزع انتزاعا حق تقرير المصير والسلطة الوطنية في الضفة الغربية وغزة دون تقديم اي تنازلات بالصلح او الاعتراف مع اسرائيل او القبول بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، لانه يتنكر تنكرا كاملا للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ويعتبر مشكلة الشعب الفلسطيني هي مشكلة لاجئين ، وليست مشكلة شعب له حقوقه القومية العادلة والشرعية، ولذلك رفضناه ولا زلنا نرفضه) (٢٩)

هنا تفسير جديد لحيثيات رفض المقاومة الفلسطينية لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، فهل صحيح ان المقاومة ومنها الجبهة الديمقراطية قد رفضت القرار لانه يتجاهل (الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني) فقط ، ام انها رفضته لانه مبني على اساس الاعتراف باسرائيل ؟ اليس هذا ارتداد يشير الى توجه الجبهة الديمقراطية واستعدادها لقبول القرار في حال اعتراف القرار بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني الى جانب اعترافه باسرائيل ؟

---

(٢٩) المصدر السابق

س ـ ان القرار ٢٤٢ تكلم عن تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ولم يتكلم عن الحقوق المشروعة لهذا الشعب . فما هي مصلحة الفلسطينيين في حضور مؤتمر جنيف في هذه الحالة ؟

ج ـ « برغم ان القرار ٢٤٢ تحدث عن المشكلة كمشكلة لاجئين الا انه من المسلم به انه اصبح هناك وعي وتفهم في صالح القضية الفلسطينية على اساس ان القضية الفلسطينية ليست مشكلة لاجئين بل مشكلة شعب له حقوقه الوطنية ويتحتم عليه ان يمارس حقوقه المشروعة في تقرير مصيره . وهذا هو موقف مصر والدول العربية كما اوضحته بقرارات مؤتمر الجزائر وكما عبرت عنه بالحرف الواحد تماما وروحا في البيان الذي القيته في جنيف . ومصر يسعدها ان تشعر ان هناك تحولا في الراي العام العالمي حتى عند الدول العظمى لان المشكلة لا يمكن ان تكون مجرد مشكلة لاجئين انما هي مشكلة سياسية في الدرجة الاولى . وعلى هذا الاساس فان موقف مصر لا يعتبر ان المشكلة الفلسطينية مشكلة لاجئين ولا يمكن ان تكون كذلك .

« ومصر لا ترى ان هناك محالا لسلام دائم ومادل ـ مع التركيز على كلمة دائم ـ دون ان يكون هناك معالجة جذرية لمشكلة فلسطين على اساس انها مشكلة سياسية وليست مشكلة لاجئين ».

الطريقة الحوانمية في استخلاص الدروس

ومع كل ما تقدم بامكاننا ان نسهب بايراد الادلة التي تؤكد على النهج الاستسلامي الذي تنحرف الجبهة الديمقراطية لاتباعه . تعالوا نطالع كلامه عن تجارب شعبنا :

(علينا ان نستخلص دروس تجربة شعبنا وثوراته ودروس تجارب الحركات الثورية في العالم وتجربة عدونا الصهيوني . فمثلا عرض على قيادتنا الفلسطينية دولة ديمقراطية فلسطينية يعيش فيها العرب واليهود قبل التقسيم عام ٤٧ ، فرفضت قيادتنا الفلسطينية ، وانها لا نقبل في هذه الدولة سوى الذين كانوا في فلسطين حتى عام ١٩١٧ وما جاء بعد ١٩١٧ مرفوض ، والآن نحن في عام ٧٢ نتاضل من اجل اقامة دولة ديمقراطية فلسطينية على كامل التراب الوطني الفلسطيني يتعايش فيها العرب واليهود بدون قهر اجتماعي او قومي) .

ان حوانمة هنا يستخلص بينة ادانة لموقف القيادات الفلسطينية التي لم تقبل بالتعايش مع اليهود الذين غزوا فلسطين بعد عام ١٩١٧ ، ودليله على خطأ موقفها آنذاك هو موقف المقاومة الراهن الذي يقول قيام دولة فلسطينية ديمقراطية على انقاض الدولة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية . فما هو الغرض من هذا الدرس ، هل المطلوب الان ان تقوم سلطة فلسطينية في الضفة والقطاع وتتحد مع اسرائيل على اساس التعايش بين العرب واليهود وتلافي، الخطأ الذي وقعت فيه قيادات مرحلة الاربعينات ؟ اليست هذه بينة على اختلال المفاهيم والخلط بين دولة تقوم على اساس ديمقراطي ـ اشتراكي يتساوى المواطنون في ظله بالحقوق والواجبات بغض النظر عن دينهم وجنسهم ولونهم ، وبين سلطة تقام على اساس الحكم الذاتي الخاضع للسيطرة الصهيونية ؟

لهجة المستسلمين ومنطق الثوار الماركسيين اللينينيين !

قلنا مرارا وسنكرر القول بان حوانمة حاول بكل طاقته ان يخفي عن السامع والقارىء جوهر مفاهيمه ومضامينها ، بيد انه يضطر، رغبة منه لتغطية ارتداده واضطراره للفش والتمويه والف والدوران ، الى ان يكشف دون قصد منه عن وجهه الجديد ، المعبر عن حالة الياس التي يعيشها . فهو يقول عند تعرضه للذين كانوا يعارضون رفع شعار اسقاط النظام الاردني بحجة (انه : « اذا طار نظام الملك حسين، فان اسرائيل ستعتدي على الضفة الشرقية ، ولا نستطيع حماية الضفة الشرقية من الاحتلال » . هذا سبب دائم مسلط ، مظرفة دائمة موجودة ، ويمكن ان يقال انما اذا حرقنا هذه الحدود فمن الجائز ان تحتل اسرائيل الضفة الغربية مرة ثانية، والوقائع تقول: نعم الشيء اذا اسقطنا النظام الرجعي الهاشمي ، ونعم الشيء اذا اقمنا نظام وطني بعد عام او ١٥ عام في الاردن ، واذا الملك حسين احد الصفة الغربية وتطايعوه مرة ثانية ـ لا سمح الله ـ نفس الشيء السبب نفسه مسلط واذا استطاعت اسرائيل ممكن ان تحتل الضفة الغربية مهلة نصبة واثنية) .

ان هذا الكلام يكشف خلفية تصور حوانمة للوجود الاسرائيلي على انه وجود سرمدي ابدي ، الى ما بعد ١٥ سنة واكثر . والنقطة المهمة ليست هنا ، فاسرائيل قد تعيش خمس عشرة سنة او اكثر ، بيد ان اللهجة التي يتحدث بها حوانمة تنم عن شعور باليأس والعجز عن ادراك كون النظام الاسرائيلي لا يمكن ان يبقى محتفظا بتفوقه الحالي . وان تسليمنا بما يقوله حوانمة ، يعني ان الامبريالية وبالتالي اسرائيل ستبقى متفوقة حتى بعد ١٥ سنة . وهنا يقف الاخ حوانمة على مفترق طرق وفراق مع كل مفاهيم القتال على اساس النفس والامد الطويلين وان الشعوب قادرة بما لديها من وسائل قتال بدائية قادرة على دحر ما لدى الامبريالية من وسائل قتال عصرية ، لان الشعوب تعتمد في كفاحها المسلح على معنويات ابنائها اعتمادا يمكنها من ان تصمد بوجه القوة المادية التي لدى اعدائها القوميين والطبقيين وتتحدى الاستعمار تحديا لا بد ان يكلل بالانتصار مهما كانت التضحيات ومهما طال الزمن .

هذه الاولويات البديهة التي كدستها تجارب الشعوب ، لم تعد لها قيمة لدى امين عام الجبهة الديمقراطية ، فهو لم يعد يرى فيها غير احلام ذاتية ورغبات ذاتية ويتهم المؤمنين بها بانهم حالمين وغير واقعيين . وهنا يتساءل الانسان لمن تخدم هذه اللهجة وهذا النهج الذي يشيع اليأس وينشر الارهاب والرعب والفزع بين صفوف الجماهير !

ان هذه اللهجة التي يتحدث بها حوانمة اليوم، غريبة عليه وعلى لهجته ومنطقه ، يوم كانت المقاومة تمتلك مئة الف بندقية على حد تعبيره ، اهي تعامل مع الواقع كما يدعي ام انها تعبير عن امكاني الحالة الراهنة التي نعيشها ! المقاومة والتي تجعل الدنيا تسود (في وجه التفوق البرجوازي الصغير الذاتي ، فلا يرى غير الفشل والهزيمة والسواد والصديد) (٣٠) . ولو لم يكن هذا هو الواقع لكانت لهجة نايف نخلف تماما ، ويفعل كما فعل فاسيل كولاروف وجورجي ديمتروف في رسالتهما المفتوحة الى العمال والفلاحين في بلغاريا :

(ايها الرفاق

(ان اول كلمة نوجهها اليكم هي :

« ارفعوا رؤوسكم ! فان الانتقام الدامي لاولياش الحرس الابيض الخائفين على سلطتهم ، لن يطلع بقتل الروح الثورية لبلغاريا الكادحة ! والهزيمة ستلقننا كيف ننتصر ! وان حكومة العمال والفلاحين في بلغاريا آتية لا ريب فيها ! ») (٣١)

(لا هوان ولا قنوط ولا استصغار ابدا !

ارفعوا رؤوسكم ايها المناضلون الامجاد !) (٣٢)

لو لم يكن الاخ حوانمة واقعا تحت وطاة تاثير الهزيمة الراهنة ، لتحدث كما يتحدث المؤمنون بعدالة قضيتهم ولقال ان الهزيمة ستلقننا كيف ننتصر كما قالها كولاروف وديمتروف بعد فشل انتفاضة ايلول ١٩٢٣ المسلحة التي قام بها الحزب الشيوعي البلغاري وقدم من اجلها ما يزيد على ثلاثين الف شهيد ، اقول لو لم يكن الاخ حوانمة يعاني من اهتزاز في الايمان وزعزعة في الثقة بجماهيرنا ، لراى الدنيا من منظار اخر ، بطل على عالم فسيح جدا ، عالم تنفي فيه اجهاضا الكادحة بما كان يفني فيسكرتير الاممية الشيوعية : (انا نحن ، الكادحين جميعا ، المعممين ايمانا بقضيتنا التي هي قضية الشعب الكبرى ، سنتجرع آلام الهزيمة ومحنها ببطولة ، وسنكرس انفسنا من جديد ونعزيد من الحيوية والحماس لخدمة القضية الشعبية ولن يهدأ لنا بال حتى نحرز النصر) (٣٣)

نعم لو لم يكن الاخ حوانمة واقعا تحت كابوس الاستسلام ، لانفق اساعات الاربع في تدعيم معنويات الجماهير التي تواجه المؤامرة، ولتحدث لهجة الماركسيين ـ اللينينيين الثوريين رفاق ديمتروف وماوتسي تونغ وهوشي منه وكاسترو ، ولكان بامكانه ان يطالب باقامة السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية ليس من منبر القنوط والذعر والجزع والهلع ، وانما من منبر الاعتزاز والعزيمة والتصميم ، ولوجه بالحذر والنذر للذين يتامرون على شعبنا في كواليس جنيف، واحطرهم بان الارض الفلسطينية لنا ولن نسمح لاحد غيرنا بان يقرر مصيرها ، واننا بالمرصاد لكل المتامرين الذين يريدون منا ان نتخلى عن مبادئنا ونجهض ثورتنا . ان اللهجة التي يتحدث بها حوانمة مقطوعة الصلة بالثورية ، وربما نصلح لان تكون نشيدا للبائسين والقانطين الذين يتوقون الى الحياة الهادئة الهانئة اكثر من توقهم الى مزعجات ومنغصات الملاحقة والقمع والابادة الى بدات تلوح نافى الثورة الفلسطينية !

يكفينا حكما على خطورة المشاركة باعمال « مؤتمر السلام » في جنيف على القضية الفلسطينية ، ان نلاحظ بان دفاع حوانمة عن السوية السياسية لا يستهدف الاستسلام ، وانما يبرره ويجيده بحجج واهية . وليس هذا فحسب ، بل انه وجد نفسه مضطرا لان يهاجم خصوم الاستسلام وينعتهم بالعدمية والافلاس الايديولوجي والسياسي . ان ادراكنا لكون كل ما تراكم على مدى ربع القرن الاخير باذهان الجماهير العربية والذي جعل القضية الفلسطينية تحتل المقام الاول من اهتمام المواطن العربي بالنسبة لقضايانا القومية . ان كل هذا التراث الذي نعبر عنه اليوم وعي الجماهير لقدسية القضية الفلسطينية ، سينسف اذا ما تحققت دعوة حوانمة ووضعت « فلسفته » موضع الترجمة العملية في هذا الظرف الدقيق الذي تمر به القضية الفلسطينية ، وعلى ضوء موازين القوى التي تتحكم بها امركما وعملائها !

ان المقاومة الفلسطينية ، او اي فصيل من فصائلها الاساسية، يرتكب حماقة بل جريمة بحق الشعب الفلسطيني خاصة وبحق الشعب العربي عامة ، اذا ما ورط بالانجرار وراء المجذبين للاستسلام والداعين له .

ليس معقولا ولا منطقيا ان تتوقع المقاومة حصولها على سلطة وطنية على اية ارض فلسطينية بالاستناد الى « مؤتمر السلام » ، وعليها ان تعتمد على جماهيرها في الضفة والقطاع وكل الارض الفلسطينية لمقاومة الاحتلال ورفض الانحاق بالنظام الاردني الرجعي العميل ومن شان هذا النضال ان يبقيها محتفظة بمكانها الطليعي لجماهيرها وقد يمكنها من انتزاع الضفة والقطاع بقوة جماهيرها ، انتزاعا يمكنه ان يقيم سلطة لا تتصالح ولا تعترف ولا تتنازل ، لكي تواصل النضال من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ان الذين يصدقون كلام امين عام الجبهة الديمقراطية ، سيكون شانهم شان الذين يحاولون ان يجنوا من الشوك عنبا !

البقيّة في العدد القادم

---

(٣٠) الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم ، منير شفيق ص ١٠ .

(٣١) في الجبهة الوطنية الموحدة ـ جورجي ديمتروف ص ٥٧ .

(٣٢) المصدر السابق ـ ص٦١ .

(٣٣) المصدر السابق ـ ص٦١